## الاعتدال والوسطية في الأمور

لكل إنسان طريقته في معالجة الأمور وحل المشاكل التى تواجهه، فمنهم من يأخذها مأخذ الجد ، ويختار المواقف الصعبة ، حتى ولو كانت صعبة المنال وشديدة على نفسه وتحتاج إلى مجهود ومجاهدة مع نفسه ومع غيره ... ومنهم من يسير في الاتجاه العكسي، أي يختار الأيسر على نفسه وغيره ، ليوفر على نفسه أي مجهود أو مشقة. وهناك فئة ثالثة – وهي التى أميل إليها – تأخذ الاعتدال والوسطية في الأمور، منهجها ونبراسها، بما لا يخالف الشرع وبخاصة إذ كان هذا المنهج المعتدل تؤيده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة عن الرسول الكريم ﷺ، فضلا عن خلو هذا الرأي من أي هوى أو نزعات النفس، أو للتوافق مع رأي مسبق سمعه ممن يثق فيه ويحترمه.

**ويؤكد أبو الأعلى المودودي على أهمية الاعتدال فيقول (1) :**

( والحل الصحيح لا يمكن إيجاده إلا بعد ما يدرك المرء نقطة الاعتدال التى تستقيم بها الأمور. ونقطة الاعتدال هذه لا يمكن إدراكها إلا بعد أن تكون جميع نواحى الحقائق المعلومة على الأقل – إن لم تقل الحقائق كلها – معروضة على الأنظار، مرتبة على نسق واحد. ولكن قل لي بالله ، من أين لك هذه النقطة الوسط إذا كانت سعة الآفاق والمناظر في درجة لا تقدر أن تحيط بها الأبصار البشرية ، ثم إذا كان لرغبات النفس ونوازعها وعواطفها وميولها من التأثير البالغ في تفكير الإنسان ما يصرف بصره عن الحقائق الماثلة للعيان ؟ إن كل حل يوجد في مثل هذه الحال لابد أن يتسم بإفراط أو تفريط .

**وتأكيد ذلك له دليل من القرآن الكريم والسنة النبوية فيما يلي :**

قال تعالى في محكم آياته : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥.

وقال رسول الله ﷺ :

" إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه " رواه البخاري .

---

(1) الحجاب – ص6 ، 7 .



openkanal.com

" أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة " [1] رواه مسلم .

**وقال الدكتور يوسف القرضاوى في هذا المعنى :**

" خلق الله الإنسان ليستخلفه في الأرض، ولن يتم هذا إلا إذا بقى هذا النوع واستمرت حياته على الأرض يزرع ويصنع ويبنى ويعمر، ويؤدي حق الله عليه، ولكي يتم ذلك ركب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية ، تسوقه بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فرداً ، وبقاءه نوعا.

**والغريزة الجنسية التى بالاستجابة لها يبقى نوعه ... وموقف الإنسان منها :**

1- إما أن يطلق لها العنان ، بلا حدود ولا روادع تردعها من دين أو خلق أو عرف، كما هو الشأن في المذاهب الإباحية التى لا تؤمن بالدين، ولا بالفضيلة، وفي هذا الموقف انحطاط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان، وإفساد للفرد وللأسرة، وللجماعة كلها.

2- وإما أن يصادمها ويكبتها ، كما هو الشأن في مذاهب التقشف والحرمان كالمانوية والرهبانية ونحوهما ، وفي هذا الموقف وأد للغريزة ، وتعطيل لعملها، ومنافاة لحكمة من ركبها في الإنسان وفطره عليها، ومصادمة لسنة الحياة التى تستخدم هذه الغرائز لتستمر في سيرها.

3- وإما أن يضع لها حدودا تنطلق في داخلها ، وضمن إطارها ، دون كبت مرذول ولا إنطلاق مجنون، كما هو الشأن في الرسالات السماوية، التى حرمت السفاح وشرعت النكاح – الزواج- وخصوصا الإسلام الذى اعترف بالغريزة ، فيسر سبيلها من الحلال ونهى عن التبتل واعتزال النساء ، كما حرم الزنى وملحقاته ومقدماته أشد التحريم.

**وهذا الموقف هو العدل والوسط .**

فالإسلام برفضه وتحريمه للسفور والخلاعة وبرفضه حجب المرأة تماما عن المجتمع وعزلها عنه ، يكون قد وقف موقفا وسطا معتدلا ، بالسماح للمرأة بالتعلم والعمل والمشاركة

---

[1] الحلال والحرام في الإسلام. د. يوسف القرضاوى ص 144 بتصرف .



obeikandl.com

في المجتمع ولكن بدون إختلاط غير مشروع وإرتداء المرأة لباسا شرعيا بالشروط السابق بيانها وأن يكون تعاملها مع الغير بجدية ، ولا يصدر عنها أية أقوال أو تصرفات أو تبسط في المعاملة، تجعل الذى في قلبه مرض يطمع فيها.

لذلك فإن الرأي الغالب يرى أن الحجاب الشرعي الذى يُظهر فقط الوجه والكفين، وهو الرأي الوسط الذى لا يحجب المرأة عن دورها في المجتمع ، ولكنى بعد أن أشرت إلى العديد من النقاط النقلية والعقلية التى تؤكد – من وجهة نظرى وكذلك رأي الكثير من الفقهاء الأعلام عدم وجوب النقاب – إلا أننى أتوقع تمسك البعض الآخر برأيه ، وهذا طبيعى، لأنه من سنن الله في الكون الإختلاف بين المخلوقات – منهم بنى آدم بالطبع- في المشارب والتفكير والاعتقاد ، قال تعالى :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ يونس: ٩٩ .

وتأكد توقعى هذا عندما قرأت كتاب " حجاب المرأة المسلمة " للشيخ محمد ناصر الدين الألباني [1] ورأيت قوة حجته في أن وجه المرأة ليس بعورة والأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة التى اعتمد عليها، إلا أنه قال: " ومع ذلك فإن بعض أهل العلم وطلابه، لا سيما المقلدين منهم – فإنه مع إعجابهم بالكتاب وأسلوبه العلمى ، وقوة حجته، ونصاعة برهانه- لم يرقهم ما جاء فيه من التصريح بأن وجه المرأة ليس بعورة ، وهؤلاء فريقان:

**الأول :** من لا يزال يرى أن الوجه عورة ليس ذلك عن دراسة الأدلة الشرعية، وتتبعها من مصادرها الأصلية، وإنما تقليدا لمذهبه الذى نشأ عليه، أو البيئة التى عاش فيها، وفيها بعض المتحمسين لذلك أشد الحماسة بحسن نية ، وعاطفة إسلامية وغيرة دينية، وقد جلست إلى أحد هؤلاء الفضلاء جلسة دامت ساعات، تباحثنا فيها حول المسألة ، وكان ذلك بطلب منى، لعلى أجد عنده ، ما يؤيد رأيه، فلم أحظ بشئ من ذلك .

**الثاني:** يذهب معنا إلى أن الوجه ليس بعورة ، ولكن يرى مع ذلك أنه لا يجوز إشاعة هذا المذهب نظراً لفساد الزمان ، وسداً للذريعة. فإلى هؤلاء أقول: إن الحكم الشرعي الثابت في

---

(1) ص 4 ، 5 ، 8 بتصرف.



openkanal.com

الكتاب والسنة لا يجوز كتمانه وطيه عن الناس، بعلة فساد الزمان أو غيره ، لعموم الأدلة القاضية بتحريم كتمان العلم مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ البقرة: ١٥٩.

فمن الحكمة إذا أن يقنع العلماء في هذا العصر بأن تستجيب النساء لما أمر الله به من حجب البدن كله حاشا الوجه والكفين، فمن حجب ذلك أيضا منهن ، فذلك ما نستحبه لهن، وندعو إليه ، وأما إيجاب ذلك عليهن فهو عندى تشدد في الدين وتنطع لا يحبه الله.

واعتقد أن المؤيدين بوجوب النقاب ، مدفوعين لتبنى هذا الرأي ، لمواجهة العرى الذى انتشر في معظم البلاد الإسلامية وتأثرهم بكثرة عصيان الله ومخالفة شريعته الغراء، ومن هؤلاء أبو الأعلى المودودى الذى أورد في كتابه "الحجاب": " وذلك أنى كنت أشعر بواسطة الجرائد والمجلات التى كانت ترد علينا من مصر وغيرها من البلاد العربية، بأن المرأة في البلاد العربية قد بلغت في اعتدائها لحدود الشريعة وانسياقها وراء تيار الحضارة الجديدة ، درجة ربما لم تبلغها المرأة حتى في بلادنا نحن، فكنت لكل ذلك أجد في نفسي من القلق والاضطراب ما قد طالما أقضى على مضجعى وأجرى الدموع من عيني. ثم أنه لما قدر لي قبل عامين ونصف زيارة بعض البلاد العربية وهناك شاهدت بعينى ما بلغه حقا تبذل المرأة العربية المسلمة وتبجحها بالعرى والفتنة وشدة ولوعها باقتفاء آثار أختها الغربية ، ازددت قلقا واضطراباً أكثر من ذي قبل [1] ".

وأود أن أؤكد أن البعض متمسك بالنقاب باعتبار أنه سمع ممن يثق في علمهم وأمانتهم أن عدداً من العلماء الكبار يؤكدون فرضية النقاب، حسب فهمهم لأدلة نقلية عديدة من الكتاب والسنة، وهؤلاء لا يدركون أن هؤلاء العلماء يحترمون الخلاف في الرأي ، وأنهم وإن أفتوا برأي معين، فإنهم يحترمون الرأي المخالف لأنه صادر أيضا من علماء أجلاء، **وها هو الشيخ أبو الأعلى المودودى ، الذى ينسبون إليه فريضة النقاب يقول:**

---

(1) الحجاب، أبو الأعلى المودودى ص4 .



obeikandi.com

" إني لا أنكر ما بين العلماء من الخلاف حول جواز كشف المرأة وجهها لغير محارمها، ولا ألزم غيرى أن لا يرى في هذه المسألة غير رأيي ولكن.. يا ليت شعرى ما هو الدليل على جواز كشف المرأة ساقيها إلى الركبتين ويديها إلى المنكبين وجزءاً عظيما من صدرها وظهرها وخاصرتها ثم تجوالها – هكذا – في الطرق والأسواق تتعرض للرجال وتغشى الأندية والمجامع المختلطة وتبرز مفاتنها في كل واد بكامل زينتها؟ وأما إن كانت الحقيقة أن لا دليل على جواز كل ذلك ولا تأويل له ، فقل لي بالله أليس هو بخروج سافر على الشريعة الإلهية واستهزاء علنى بأحكامها يرتكب اليوم في بلاد العرب - أسرة النبي وقبيلته – على مرأى ومسمع من علمائهم وكتابهم وقادة الرأى والفكر منهم، ولا أدرى – والله – ماذا يتوقع القوم أن يبرئوا به ذمتهم في محكمة الله العليم الخبير يوم القيامة ؟

**ويقول أيضا في موضع آخر من الكتاب [1] :**

" إن أكثر ما هناك من الاختلاف بين المسلمين في هذا الباب هو منحصر في وجه المرأة ويديها هل يجوز إبرازها أم لا ؟ وليس هذا الاختلاف بخطير جداً ".

**ولكن المؤلف يعيب على بعض المسلمين الذين يتخذون موقف الدفاع أمام نظرة الغرب للحجاب، ويحاولون تبرير الحجاب – على استحياء – فيقول [2] :**

" الواقع في الحقيقة أنه نشأت هذه المسألة في المسلمين لكون الغرب قد نظر إلى الحجاب والنقاب والحرم بعين المقت والازدراء وصوره أقبح تصوير وأشنعه فيما كتب ونشر وفعلوا في هذه المسألة – الحجاب – مثل ما فعلوا أيضا في مسائل الجهاد والرق وتعدد الزوجات وما شاكلها من المسائل، فعمدوا إلى الكتاب والسنة يتصفحون أوراقهما، وإلى كتب الفقه والأحكام ينقبون عن اجتهادات الأئمة فيها، لعلهم يجدون في أثنائها ومطاويها ما يعينهم على غسل هذا العار الذميم عن أنفسهم، فإذا بهم يقعون على أقوال لبعض الأئمة تجيز للمرأة أن تبدى وجهها ويديها وتخرج كذلك من بيتها لحوائجها، كما أن المرأة يجوز أن تشهد الحروب

---

( [1]) الحجاب – ابو الأعلى المودودى ص23 .

( [2]) الحجاب – ابو الأعلى المودودى ص23 .



Openkanal.com

لسقى المجاهدين ومداواة المرضى، ثم وجدوا في تلك الأقوال إذنا بخروج المرأة إلى المسجد للصلاة وجلوسها للتعلم والتعليم، فكفاهم هذا القدر من المعلومات لأن يدعوا أن الإسلام قد أعطى المرأة حرية مطلقة، وأن الحجاب من تقاليد الجهلاء اتخذه المتأخرون من المسلمين الجامدين المحافظين، ويخلو من أحكامه القرآن والحديث، وإنما القرآن والسنة يعلمان الحياء والخفر على سبيل التعليم الخلقى وليست فيهما قانون أو ضابط يقيد حركة المرأة وتنقلها بقيد ما " .

ولذلك فقد لاحظت أن معظم الكتب التى رأيتها تتمسك بالنقاب، أجدها في موقع آخر من الكتاب، تميل إلى أن الرأي الذى يرى جواز كشف الوجه والكفين، له حجيته ووجاهته، ومن ذلك ما أشار إليه الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى في كتابه [1] " إلى كل فتاة تؤمن بالله " إلى أنه يميل إلى الرأي الفقهى الذى يقول بوجوب ستر الوجه، لأنه يريد لبناته مزيدًا من الفضل والكرامة ثم يضيف " وإن كان فصل القول في هذا الموضوع ما قاله الشيخ ناصر الدين الألباني بعد أن ساق الأدلة (فيستفاد مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها ببرقع أو نحوه مما هو معروف عند النساء المحصنات أمر مشروع محمود، وإن كان لا يجب ذلك عليها، بل من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج [2] ".

**وكذلك الشيخ أبو الأعلى المودودى في كتابه "الحجاب" يؤكد هذا المعنى في قوله [3] :**

"على أنا نقول في هذا المقام أن لا تقيدوا استثناء (إلا ما ظهر منها) بأمر من تلك الأمور، بل دعوا المرأة المؤمنة التى تريد أن تتبع أحكام الله تعالى ورسوله، ولا ترضى الوقوع في الفتنة. تحكم بنفسها بحسب أحوالها وحوائجها: هل تكشف الوجه أم تستره؟ وأن كشفته في بعض الحالات . فمتى تكشفه ومتى لا تكشفه ؟ ثم أي جزء منه تكشفه وأي جزء تخفيه ؟ إن الشارع لم يرد عنه في هذا الباب أحكام قاطعة صريحة، ولا من مقتضى الحكمة ، نظراً لاختلاف الأحوال والحاجات ، أن توضع فيه أحكام قاطعة متصلبة، وذلك أن المرأة التى

---

(1) ص 6، 7 .

(2) الحجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ص 32 .

(3) الحجاب – أبو الأعلى المودودي ص 152 .



obeikandi.com

تضطر إلى الخروج لبعض شئونها وللعمل خارج بيتها، لابد أن تحملها الضرورة على كشف اليدين وكشف الوجه أيضا، ومثل هذه المرأة قد رخص لها في الأمر حسب ما تستوجبه حاجتها وضرورتها، وأما المرأة التى ليس بها شئ من تلك الحاجات، فلا يصح لها أن تكشف شيئا منهما عمداً بلا حاجة .

فمقصود الشارع إذن أنه إن كشفت المرأة شيئا من نفسها إظهاراً لحسنها وجمالها فهو إثم. وإن ظهر منها شئ بنفسه بدون أن تتعمد إظهاره فلا جناح فيه عليها، وإن دعت الحاجة الحقيقية إلى كشف شئ، فجائز ومباح كشفه، وأما السؤال عن الوجه على الأخص، بصرف النظر عن اختلاف الأحوال- هل يحب الشارع كشفه أو لا يحب ؟ وهل جوز ابداءه لضرورة لا مناص منها، أم ليس الوجه عنده مما يجب إخفاؤه من الأجانب؟ فتهدى في كل هذه الأسئلة آيات الحجاب من رقم 30 إلى 34 من سورة الأحزاب ".

**ويؤكد الشيخ أبو الأعلى المودودى في موقع آخر من كتابه ، على أهمية الموقف الوسط ويرفض الإفراط والتفريط ، فيقول :** (1)

( إن الحجاب الإسلامي ليس بشئ من باب التقاليد الجاهلية، التى لا يمكن قط أن يزاد فيها أو ينقص منها للمصالح والضرورات، بل الحجاب في الإسلام قد يخفف من حدوده إذا اقتضت الضرورات الحقيقية، وعند ذلك لا يجوز كشف الوجه واليدين فحسب بل يجوز كشف جانب من الأعضاء المعدودة في العورة أيضا ، بقدر الضرورة، ولكن كلما زالت تلك الضرورات ، وجب أن يرد الحجاب إلى الحدود التى قررت له لعامة الأحوال، وكما أن هذا الحجاب لا يتسم بسمة الجاهلية، كذلك ليس التخفيف منه أيضا بمثابة الحرية والإباحية الجاهلية،وليست المرأة المسلمة كالمرأة الأوروبية التى خرجت من حدود وظيفتها لضرورات الحرب، ثم لما انتهت الحرب وزالت الضرورات ، أبت الرجوع إلى حدودها تلك .

**وخاتمة القول** أن موقف الإسلام من الحجاب هو نقطة القصد والموقف الوسط الذي أشد ما تفتقر إليه الدنيا لرقيها وهنائها وصلاحها الخلقى وهي لا تزال تخبط خبط عشواء في

(1) الحجاب صفحتى 166 ، 167 .



obeikandl.com

تعيين منزلة المرأة – أي منزلة النصف الكامل من كيان العالم الإنساني– في التمدن، منذ آلاف السنين.

فتميل تارة إلى الإفراط وأخرى إلى التفريط ، وقد أضرت بها هاتان النزعتان المتطرفتان ضرراً قد شهدت به التجارب والمشاهدات ، أما ما بين هذين الطرفين المتناقضين من الموقف الوسط المعتدل الذي يوافق الفطرة والعقل، ويلائم المصالح الإنسانية كل الملاءمة ، فهو الذى قد جاء به الإسلام ، ولكن المؤسف أنه قد قامت في هذا العصر الأخير حواجز بعضها من وراء بعض ، تحول دون فهم هذا الطريق المستقيم وتقديره حق قدره .

أهم هذه الحواجز أن الإنسان في عصرنا هذا قد ابتلى في بصيرته بداء كاليرقان، وأصيب المستغربون من أهل الشرق بنوع أخوف من هذا الداء، أسميه اليرقان الأبيض، ومعذرة إلى الاخوان والأصدقاء لصراحتى هذه، ولكنها حقيقة لا تنكر ، والحقيقة يجب ألا يمنع من إعلانها مداراة .

أن من الحق الواقع أنه لم يأت الإسلام بحكم أو مسألة تخالف الحقائق العلمية الثابتة، بل الأصح أن كل ما هو حقيقة علمية في هذه الدنيا ، هو عين الإسلام. ولكن هذا الواقع لا تبصره إلا عين مجردة ترى الأشياء بلونها الحقيقي ، لا بلون المنظار، ولا تدركه إلا نظرة واسعة ترى كل أمر من جميع نواحيه لا من ناحية واحدة ، ولا يقبله إلا قلب رحب وفطرة سليمة تسلم بالحقائق كما هي، وبدل أن تجعلها تابعة لأهواء النفس ونوازعها، تجعل أهواء النفس تابعة لها.)



obeikandl.com